أدب الخواطر أو المقالة...

أدب الخواطر منهل غزير يتفاعل جنباً إلى جنب وحياتنا الخاصة والعامة. وأدب المقالة الذي أزاوله منذ عام ١٩٦٨ لا يزال اللون الفكري الذي يزاحم برواجه وسعة مجالاته وتعدّد مناحي القول فيه، كثيراً من سائر ألوان الفكر.

هذا اللون من الأدب، جدير بطبيعته المرنة أن يتّسع وعاؤه مع كل صباح لشتى البحوث والدراسات المتجددة، المتطوّرة بتطوّر رسالة الثقافة والفكر، وإنْ لم تكن بموضوعاتها وأصولها، فأقلّه بطرائق بحثها وأساليب سوقها سهلة ميسّرة، إلى الجمهرة العظمى، من عشاق الاطلاع. فهذا الأدب من ثَمَّ حقيق أن يستجيب لحاجات الفكر الإنساني المتجدد أبداً، وللرغبات النفسية الملحّة في طلب التبيان والتفسير لكل مشكلة أو مطلب من مطالب العقل والنفس والجسد.

المقالة التي ادمنتُها أكثر من سواها، فنٌّ في الأدب له سماته وخصائصه، وملامحه الدالة عليه. فيجب لكي تستوي أسلوباً وفكرة أن تجمع لها أدواتها، وأن تستتم دورتُها مراحلها التكوينية جميعاً، ومن غير ذلك تخرج خلقاً غير سويّ، لا يستسيغه حتى الذوق المريض.

في أدب المقالة، لا بدّ من قسط من الوعي في عملية خلقها. ففي لحظات اشراق الكاتب الروحي، عندما يحاول أن يسكب نفسه، وأن ينفض عنه أدق ما يخالج وجدانه من هجسات وخطرات، لا يسعه أن يغفل شأن الوعي أو الذهن، لأن انسياب المشاعر والخواطر في الصيغ والتراكيب، لا يستتم مظهره كاملاً، إلا بعد اتقان عملية التركيز الواعي في الأداء اللفظي، بشتى صوره الموحية، وظلاله المشعة.

لا يزال أدب الخواطر وفن المقالة، يشغل مكانة مرموقة في اهتمامات النّاس ولو عبر النسخة الالكترونية ولا يزال له عشاق ومحبّون وإن قلّ منتجوه أو مبدعوه.

أدعو كل أديب حر أن يكون مثلاً حيّاً من أمثلة الشرفاء العقلاء الطليعيين ولو طال الزمان. ادعوه لكي يخلص لثقافته وفنه ويعكف في غير كلال أو ملل على دنيا الاطلاع، ويدأب في مواصلة الإنتاج، في ظلّ وريف، من الخطرات التي تنساب مع المشاعر انسياب الحياة في كل ما تطالعه من صور تجديدها وخلقها.

المقالة تتقن المزج بين الألوان في انسجام وتناسق، في مناخ من الخيال الذي يبلغ مبلغ الالهام والاشراق، وخصوصاً في الصور الأخلاقية الرفيعة والمناحي الهادفة حول المشكلات الاجتماعية وذات الحلول الإصلاحية العملية.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه

□ مداخلة (بالانكليزية) في «المؤتمر الدولي للسلام» الذي عُقد على مستوى الرؤساء وممثليهم في كوريا (٢- ٨ شباط)